الترجمة والثقافة ما بين التجنيس والتغريب

شريفة بلحوتس

جامعة مولود معمري، تيزي-وزو (الجزائر)

1- طبيعة الترجمة: من البديهي أن الترجمة عملية تكمن في نقل المعنى من لغة إلى لغة أخرى، ويجمع جلّ المنظرين في هذا المجال من البحث على ضرورة معرفة المترجم للغتين المصدر والهدف ولثقافتي هاتين اللغتين[1] لأن الترجمة أداة للتواصل بين الشعوب وجسر لنقل المعارف والتجارب والعادات والتقاليد للتعرف على الثقافات المختلفة، فهي لا تعني الانتقال من لغة إلى لغة أخرى فحسب بل من ثقافة إلى ثقافة أخرى. وهي كما يقول لادميرال "الولوج إلى عالم آخر، عالم لغوي وثقافي".[2]

ويرى بيتر نيومارك أن الترجمة مبنية على ثلاث ثنائيات، وهي:

اللغة المصدر واللغة الهدف

الثقافتان المصدر والهدف

الكاتب والمترجم

يقوم المترجم بنقل رسالة الكاتب الأصلي من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف مع ضرورة مراعاة السياق الثقافي، فاللغة هي الثقافة وما الترجمة إلا التعبير عنها، لأنها لا تمثل وسيلة اتصال لمتحدّثيها فحسب بل تفرض عليهم رؤية مختلفة للعالم.

ويقو ل يوجين نايدا إن مهمة المترجم تكمن في إعادة إنتاج الرسالة الواردة في اللغة المنقولة، فهو يسعى إلى البحث عن التكافؤ في اللغة المنقول إليها، لذلك يعرّف الترجمة بقوله:

"تكمن الترجمة في إعادة صياغة المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة اللغة المصدر في لغة المتلقي من حيث المعنى أولا ومن حيث الأسلوب ثانيا"[3]

إن الترجمة الجيّدة في نظر نايدا هي الترجمة التي لا تظهر غرابة الأصل ولا يشعر فيها المتلقي أن النص مترجم. فكيف تكون الترجمة عبر الثقافات في ظل الفوارق الثقافية، وهل على المترجم اخفاء هذه الفوارق وعدم اظهار غرابة الأصل أم عليه اظهارها للمتلقي لتمكينه من التعرّف على ثقافة غيره وتجسيد الحوار ما بين الثقافات؟

2-التجنيس والتغريب: تمر الترجمة بثلاث مراحل: الفهم والصياغة ثم المراجعة[4].

1- الفهم: يمثّل فهم النص المصدر مرحلة ما قبل الترجمة، "هو قاعدة العملية برمّتها، فلا بد من أن يفهم المترجم النص المصدر بأدقّ تفاصيله"[5].

2- الصياغة: تمثّل الصياغة مرحلة الترجمة، ويتم خلالها نقل المعنى مع الإبقاء على ثلاثة عناصر أساسية، وهي:

أ) نبرة النص: على المترجم أن يحافظ على روح النص الأصلي، فيجب أن يولّد النص الهدف الانطباع نفسه الذي يولّده الأصل، كالشعور بالفكاهة أو السخرية أو الخوف.

ب) سجلّ النص: أي قاموسه، فإذا ما تكرّرت ألفاظ أكثر من غيرها في النص المصدر فلا بد أن تتكرّر أيضا في النص الهدف لأن التّكرار له مغزى، كذلك إذا كانت الألفاظ تقنية ودقيقة فعلى المترجم أن يراعي ذلك في الترجمة.

ج) مستوى النص: يجب أن يكون النص الهدف في مستوى النص المصدر ولا تكمن مهمة المترجم في تحسين النص وتجميله.

3- المراجعة: وهي مرحلة ما بعد الترجمة، وتقوم أولا على أساس المقارنة بين النصين الأصلي والمترجم، وبعد ذلك يستغني المترجم عن النص المصدر

ويركّز انتباهه على النص الهدف لتصحيحه وإضافة بعض التعديلات وفق خصوصيات اللغة المنقول إليها، كإضافة الروابط في اللغة العربية.

تعتبر هذه المراحل مترابطة فيما بينها، وهي تتم بإحدى الطريقتين:

يقول شلايماخر إن للمترجم طريقتين في الترجمة، إما أن يبقي المترجمُ الكاتبَ بعيدا قدر الإمكان وينقل القارئ إليه، وإما أن يبقي القارئَ بعيدا قدر الإمكان وينقل الكاتبَ إليه:

«Ou bien le traducteur laisse le plus possible l'écrivain en repos, et il fait se mouvoir vers lui le lecteur; ou bien il laisse le lecteur le plus possible en repos, et il fait se mouvoir vers lui l'écrivain »(6)

ففي الحالة الأولى، يفرض المترجم على القارئ بذل جهد لاستيعاب الكاتب الأجنبي وثقافته، وبتعبير آخر يقوم المترجم بترجمة حرفية تظهر للمتلقّي صورة غريبة عن ثقافته برموز لغته الخاصة.

وفي الحالة الثانية لا تظهر غرابة الأصل في الترجمة بل يبدو النص مألوفا لدى القارئ في اللغة الهدف وهذا ما يعرف بالترجمة الحرة.

استعمل العرب قديما هاتين الطريقتين، فعُرفت الترجمة الحرفية بطريقة يوحنا ابن البطريق، أما الترجمة الحرة فهي طريقة حنين ابن اسحاق الذي كان ينقل المعنى دون التقيّد باللفظ.

يختار المترجم إحدى الطريقتين بوعي منه أو بغير وعي متسائلا حول إمكانية تقديم الغريب للقارئ في اللغة الهدف بأمانة ودقة ولعلها أكبر صعوبة يواجهها(7).

3-عوامل اختلاف الترجمات: تختلف الترجمات باختلاف مواقف المترجمين ويرجع نايدا سبب هذا الاختلاف إلى العوامل الآتية:

أ) **طبيعة الرسالة:** يرى نايدا أن الرسائل تختلف وفقا للمحتوى والشكل وتكون الأولوية للشكل في بعض الرسائل بينما تكون للمحتوى في رسائل أخرى.

ب) **غرض أو أغراض المترجم:** للغرض دور هام في تحديد نوع الترجمة وقد لا يكتفي المترجم بمستوى الفهم لنقل الشكل والمضمون بل يتعدّاه إلى مستوى التفسير الذي يتطلّب الإبداع، وفي هذه الحالة يقوم بترجمة تراعي المعنى بكافة أقسامه. فهو يقوم بالتحليل النحوي والدلالي للنص الأصلي فيتعرف على المعنى اللغوي الذي يتمثل في الوظيفة التي تؤديها الفئة النحوية كالفعل والفاعل وحلّ مشكلات المعنى بالرجوع إلى النحو. ويميّز نايدا في التحليل الدلالي ما بين المعنى الاحالي والمعنى المجازي والمعنى الشعوري.

-**المعنى الاحالي أو المرجعي:** هو المعنى الذي يحدّده المعجم ويختلف معنى الكلمة الواحدة حسب استعمالاتها في السياق. مثل الفعل « run »

The man runs الرجل يجري

He runs the business well يُدير الأعمال جيدا.

-**المعنى المجازي:** المعنى المجازي هو المعنى الإضافي للكلمة، تُستعمل كلمة "fox" (أي ثعلب) للإحالة على الشخص، ويُقصد به "ماكر"، وهي من الخصوصيات الثقافية لأننا نجد في ثقافات أخرى استعمال آخر كالأرنب والعنكبوت، لهذا لا بد من مراعاة السياق الثقافي في نقل المعنى المجازي. [8]

-**المعنى الشعوري:** للمعنى الشعوري دور هام في تحقيق استجابة شعورية مكافئة لاستجابة متلقّي النص المصدر[9]، ويرتبط بالكلمات أو العبارات وبعناصر أخرى تتعلق بطريقة التلفّظ وبأسلوب الخطاب، وبالخبرة الفردية والإنسانية[10].

وتتمثل مصادر الاستعمال الشعوري في ثلاثة عناصر، هي:

- المتكلّم: تختلف لغة المتكلمين حسب سنّهم ومستوياتهم التعليمية والطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها.

– الظروف التي تستعمل فيها الكلمة : يستعمل الشخص كلمات تحمل ايحاءات مختلفة حسب الظروف كاستعمال كلمة "damn" أي (ملعون) فمعناها العام أو المتخصص يختلف حسب ظروف استعمالها.

– المحيط اللغوي: لبعض الكلمات دلالة تختلف باختلاف المحيط اللغوي كدلالة الألوان. ففي الصينية يوحي اللون الأحمر بالابتهاج والحظ السعيد ويتم ارتداءه في الأعياد والمهرجانات، ولكنه يرمز إلى الغضب والاشمئزاز في اللغة الجاوية المَحلية لأنه لون الدم.

ج– جمهور القراء: لا ينحصر نوع الترجمة في تحديد طبيعة الترجمة وغرض المترجم بل لا بد من مراعاة جمهور القراء الذين يختلفون من حيث قدرتهم على فهم رموز الرسالة واختلاف مجالات اهتمامهم.

4– ترجمة الأمثال من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية: لا تهدف هذه الدراسة إلى رصد الأمثال وتتبّع ترجمتها، بل الغرض منها التعرّف على كيفية الترجمة ما بين الثقافات من حيث تغريب النص الهدف بإظهار خصوصياته الثقافية في إطار الحوار الثقافي أو تجنيسه وإخفاء كل مظاهر ثقافته، واخترت بعض الأمثال الفرنسية كنموذج مع ترجمتها إلى اللغة العربية، نظرا لانتماء اللغتين إلى ثقافتين مختلفتين، وما يجمع بينهما هو القيم النبيلة التي جاءت على لسان البلغاء والحكماء وتداولها الناس عبر الأجيال.

للمثل لغة معاني مختلفة، فهو بمعنى الشبيه والنظير يقال مثَل ومِثل وشَبَه وشِبه بمعنى واحد، وهو المثال والمقدار والنموذج. يقول ابن منظور "والمثل ما جعل مثالا، أي مقدارا لغيره... ويقال امتثلتُ مثال فلان احتذيت حذوه وسلكتُ طريقه"[11]

وقال الزمخشري: المَثل في الأصل بمعنى المِثل، أي النظير، يقال مَثل ومِثل ومثيل كشبه وشِبه شَبيه. [12]

أما اصطلاحا: "المثل قسم من الحكم يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها ثم يتداوله النّاس في الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير، والفرق بين الحكمة والمثل هو الشيوع والانتشار الخاصين بالمثل، ويسمى بالمثل لأجل المناسبة والمشابهة بين الموردين"[13]، وهو عند أبي هلال العسكري كل حكمة سائرة[14].

فهو قول محكي سائر، يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، كقول العرب : "الصيف ضيّعت اللبن"، فقد قيل هذا المثل في امرأة طلبت طلاقها من زوجها العجوز والغني وتزوجت من شاب فقير، واضطرتها الحاجة في شتاء قارس أن تلجأ إلى زوجها السابق لتطلب منه المعونة، فقال لها: الصيف ضيعت اللبن،فأصبح قوله مثلا متداولا.

وهذا ما يوافق تعريف اليوسي في قوله إنه يرد أولا لسبب خاص، ثم يتعدّاه إلى أشباهه، ويشترط فيه القبول والتداول دون أن يلحقه أي تغيير في لفظه. [15]

الأمثال خلاصة تجارب الشعوب ولب الحكمة التي تعكس عادات وتقاليد شعب ما وأسلوب تفكيره مواقفه ونظرته للعالم ولأحوال الدنيا من موت وحياة وفرح وحزن وغيرها. والأمثال في مختلف الثقافات تدل على وجود القيم في كل زمان ومكان، يدركها الحكماء والعقلاء، فللبشر تجارب متماثلة مرتبطة بطبيعتهم التي جبلوا عليها فهم يشتركون في مشاعر إنسانية وفي معاناتهم من تقلّب أحوال الدنيا ولكن تختلف طريقة التعبير عن هذه المشاعر والأحوال باختلاف خبرتهم الانسانية ونظرتهم للعالم.

وتحتوي الأمثال الفرنسية على رموز ثقافية استعملت فيها الطبيعة بما فيها من عناصر وظواهر، وكثر فيها استعمال الحيوانات الأليفة مثل القط والكلب والحيوانات المتوحشة كالذئب والثعلب، والطيور كالغراب كما استعمل فيها الإنسان

بحواسه وأطرافه وأعضائه، وغيرها من الرموز لتعبّر عن القيم والمبادئ وتقدّم النصح والإرشاد وتصف أحوال الناس وتقر حقائق جبلوا عليها.[16]

التكافؤ: تطرح ترجمة الأمثال مشاكل ثقافية، فهي قد تحافظ على خصوصيات الأصل وغرابته إذا ترجمت حرفيا، أما إذا ترجمت ترجمة حرة فهي تنقل المعنى المقصود، ولكن قيمة المثل تضيع في كلتا الحالتين ولا تحدث الترجمة التأثير نفسه الذي يحدثه المثل في لغته الأصلية.

يقر أنطوان برمان أن لكل مثل ما يكافئه في اللغة المنقول إليها:

« Les proverbes d'une langue ont toujours de équivalents dans une autre langue »[17]

والتكافؤ حسب فيني وداربلنيه أسلوب من أساليب الترجمة، وهو التعبير بوضعية مماثلة[18]، ويتجلى أكثر في الأمثال، وفيما يلي بعض الأمثال الفرنسية وكيفية ترجمتها:

أ) التكافؤ المطلق: تتشابه هذه الأمثال فيما بينها من حيث الرموز المستعملة وهي موجودة في كلتا الثقافتين لذلك لا يواجه المترجم مشكلة في ترجمتها.

Pauvreté n'est pas vice

ليس الفقر عيبا

Vous serez jugé comme vous aurez jugé les autres

كما تدين تدان

Au besoin on connait l'ami

الصديق وقت الضيق

Les hommes sont les esclaves du bienfait

إذا أكرمت الكريم ملكته

Il n'ya pas de fumée sans feu

لا دخان من دون نار

Il ne faut pas jeter l'huile sur le feu

لا تصب النار على الزيت
Le malheur des uns fait le bonheur des autres
مصائب قوم عند قوم فوائد
Qui obéit à sa colère perd sa courtoisie
من أطاع غضبه ضيّع أدبه

ب) **التكافؤ المشابه:** تتشابه الأمثال الفرنسية مع مثيلاتها العربية، فهي تشترك في بعض الرموز، ويسهل على المترجم فهمها ونقلها إلى اللغة العربية. ويلاحظ أن ترجمة الأمثال الثلاثة الأولى فيما يلي تتعلق بالقضاء والقدر والأجل وهي مأخوذة من القرآن الكريم إذ لا وجود لمصدر آخر أكثر دقة في تصوير هذه الحقائق.

Celui qui doit vivre survit même si tu l'écrases dans un moitier
"ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا"
A quelque chose malheur est bon
"عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم"
La mort est un vêtement que tout le monde portera
"كل نفس ذائقة الموت"
Ventre affamé n'a point d'oreilles
عند البطون ضاعت العقول
La vérité comme l'huile vient au dessus
الحق يعلو ولا يعلى عليه
En toute chose, il faut considérer la fin
من نظر في العواقب سلم من النوائب
On n'est jamais si bien servi que par soi même
ما حك جلدك مثل ظفرك
Qui se ressemblent s'assemblent
الطيور على أشكالها تقع

Un tiens vaut mieux que deux tu l’auras
عصفور في اليد خير من عشرة فوق الشجرة
Après la mort, le médecin
لا ينفع الترياق إذا بلغت الروح التراقي

ج) التكافؤ المختلف: ترجمت هذه المجموعة من الأمثال بما يكافئها مع اختلاف الرموز المستعملة، وهي أمثال تبدو غريبة جدا إذا ترجمت ترجمة حرفية، ولكنها تظهر ثقافة الأصل وينطبق عليها مفهوم التغريب، كقولنا: إذا لم يكن ابهامي فأصبعي أو: إنه عشّ الفأرة في أذن القط، وفيما يلي بغض الأمثلة من هذا النوع:

A brebis tondue, Dieu mesure le vent
لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها
Le printemps vient après l’hiver
إن مع العسر يسرا
بعد الشدة يأتي الفرج
Qui sème le vent récolte la tempête
يداك أوكتا وفوك نفخ
Premier levé, premier chaussé
باكر تسعد
Les eaux calmes sont les plus profondes
تحت السواهي دواهي
Quand ce n’est pas mon pouce, c’est mon doigt
"لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"
A bon chat bon rat
لكل فرعون موسى
A chaque oiseau son nid est beau
القرد بعين أمه غزال
C’est le nid d’une sourie dans l’oreille d’un chat
"حتى يلج الجمل في سمّ الخياط"

Chat échaudé craint de l’eau froide

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

il vaut autant être mordu d’un chien que d’une chienne

كالمستجير من الرمضاء بالنار

Le loup mourra dans sa peau/ Le loup change de poil mais non de naturel/ En sa peau mourra le renard

من شبّ على شيء شاب عليه

N’eveillez pas le chat qui dort

أترك الشر يتركك

Le loup trouve un agneau, il y en cherche un autre

لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب

Petit à petit l’oiseau fait son nid

مسافة ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة

De mauvais corbeau mauvais œuf /Jamais un corbeau n’a fait un canari

Avec des si on mettrait Paris en bouteille

وما نيل المطالب بالتمني

Tel arbre tel fruit / de noble plante, noble fruit

هذا الشبل من ذاك الأسد

التكافؤ عند نايدا يعني رفض كل ما هو غريب في لغة الهدف لأن الترجمة هي نقل المعنى وتوضيحه أكثر وإزالة الغموض الناتج عن غرابة الأصل، وهذا ما يمثل التكافؤ الديناميكي. (19)

ولا شك أن للسياق الثقافي أهمية بالغة في الترجمة كما تبيّن من خلال الأمثلة السابقة، لذلك يرجع نايدا الأولوية في الترجمة للسياق استنادا إلى حقيقتين لغويتين هما: لكل لغة رموز تعبّر بها عن كامل تجربتها

ولكل لغة نظام خاص من المعاني وهي ذات رموز خاصة. ولا بد من النظر إلى الترجمة حسب نايدا من منظور المتلقي أي النظر في التأثير الكلي الذي تحدثه الترجمة في المتلقي وهذا هو المقصود بالتكافؤ الديناميكي.

فللمعنى الإحالي والمجازي والشعوري دور هام في الترجمة عبر الثقافات وللمترجم الخيار حسب الغرض الذي يرمي إليه، فإما أن يكتفي بالفهم ويترجم المعنى الأساسي دون الوصول إلى مستوى التفسير ليترجم المعنى الإضافي ويُظهر بذلك خصوصيات الأصل وغرابته أي تغريب النص، وإما أن يقوم بتجنيسه وبالتالي لا يطلع القارئ على ثقافة غيره ونظرته للحياة. كما يلعب جمهور القراء دورا هاما في تحديد نوع الترجمة، وعلى المترجم تقدير اهتمامات القارئ.

ومهما يكن، فالمترجم هو الوسيط ما بين الثقافات، وله حرية الاختيار ما بين التغريب والتجنيس، ولكل مترجم دوافعه لاختيار طريقة دون أخرى، قد تكون موضوعية تخضع لنظريات ترجمية وقد تكون ذاتية.

الهوامش:

1 - Mounin, G., Les problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard, 1963, p 236

2 - Ladmiral, J.R., Entre Babel et Logos. FORUM, 2, Octobre, 2004, 12

3 - Nida, E. & Taber, The theory and practice of translation, Vol. VII, Leiden, Brill, 1969 P.12.

4 – مشلب، ر، موسوعة الترجمان المحترف: صناعة الترجمة وأصولها، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص 49–54

5 – نفسه، ص 50

6 –Antoine Berman, L’épreuve de l’étranger, Gallimard, 1984, p.235

7 –Ibid, p.240

8 –Nida, E. & Taber, The theory and practice of translation, Vol. VII, Leiden, Brill, 1969, p.88

9 –Ibid, p. 70

10 −Ibid, p. 91-94

11 – ابن منظور، لسان العرب، 15 مج، دار صادر، بيروت، ط1، ج 11، ص 610−614.

12 – الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، ب ت، ص 490، 491.

13 – جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مؤسسة أهل البيت، بغداد، 2001، ص10.

14 – العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار الفكر بيروت، ط2، 1988م، ص17.

15 – اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين، (ت 1002هـ)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد الأخضر، مج3، دار الثقافة، المغرب، ص8.

16 − LE ROBERT, dictionnaire des proverbes et dictons, collection des Isuels, Paris, 1994

17− Antoine Berman, L'épreuve de l'étranger, Gallimard, 1984, p13, 14

18− Vinay, Jean.P, et Darbelnet, J. Stylistique comparée du français et de l'anglais, Didier, 1977.

19 −Nida, E. & Taber, The theory and practice of translation, Vol. VII, Leiden, Brill, P15.